



الjasوس في القاموس

الكلمة باتت على كل لسان، بل هي دخلت معجم البيانات الانتخابية، ترشيحا او عزوفا. "أجهزة" من هنا، "أجهزة" من هناك، "الأجهزة" في كل مكان، وأولا في العقول. ولعل هذا الانتشار اللغوي، فضلا عن الميداني، هو ابرز سمة حتى الآن لانتخابات سنة ٢٠٠٠. للظاهرة فائدتها ولا ريب، فتسمية الاشياء بأسمائها تخفف من وطأتها. لكن الوجه الآخر للعملة قد يكون الكسل الفكري. فعندما نختصر القاموس بالjasوس (بالاذن من محبي احمد فارس الشدياق صاحب "الjasوس على القاموس")، نجازف بفهمنا كتاب السياسة الانتخابية كما يكتب الآن. إذ، هل يكفي ان نأخذ بكلمة "الاجهزة" حتى يفهم المواطن المدعو (نظرياً) الى الاختيار، ما تحيل اليه؟ ربما، فالحدس الشعبي يعوض أحيانا البيان. حسناً، فلنطرح السؤال بطريقة أخرى: هل يعطي كل المواطنين هذه الكلمة المعنى نفسه؟ أكثر من ذلك، هل يقصد كل من يتكلمون عن "الاجهزة" وتدخلاتها، هل يقصدون الاجهزة نفسها؟

في عز المد اليساري في السبعينات، كان المستعرب الفرنسي مكسيم رودنسون يعترض عندما يسمع طلابه العرب يشتمون "الامبريالية" من دون اي تحديد اضافي، فينبههم الى انه لا يجوز علميا ولا ماركسيا استعمال هذه الكلمة على نحو مطلق، وانه لا بد من نعت يليها، كأن يقال الامبريالية الاميركية او البريطانية او السوفياتية او خلافها، وإلا فان معنى الكلام سيضيع. معنى الكلام هو تحديدا من الاشياء العديدة التي قد تضيع في هذه الانتخابات، الى جانب فرص النهوض بالبلاد واستعادة الديمقراطية وبناء المجتمع الحديث والاصلاح السياسي... ومعنى الكلام ليس تفصيلا، ولو من باب المقارنة بالمهمات الجسام، فهو وحده يحفظ لهذه الفرص حظوظها. طبعا، قد يكون من الصعب توخي الدقة العلمية نفسها التي كان يطالب بها الاستاذ الفرنسي طلابه العرب، وانتظارها من المرشحين للانتخابات النيابية اللبنانية وجمهور متبوعي اخبارهم.

الا انه لم يعد ممكنا، إن كنا نريد المحافظة على شيء من العقل، الاحتفاظ بالابهام. وما دما قد خطونا خطوة أولى على طريق الخروج من منطلق تجهيل الفاعل، عبر تسمية الاشياء بأسمائها، فانه يجدر بنا الآن عدم التفريط بهذا المكسب والذهاب أبعد باضافة النعوت الى الاسماء. وعليه، فانه لم يعد جائزا علميا ولا ديموقراطيا استعمال كلمة "الاجهزة" على نحو مطلق، مع ترك المواطن يتحزر اذا كان المقصود بها، تلك اللبنانية او السورية او الواصلة بينهما. وكذلك بالنسبة الى كلمة "تعليب"، حيث يحتاج المواطن ان يفهم من يعلب من، ولمصلحة من، اذ يبدو ان لا احتكار لمصنع تعليب واحد.

فحتى لو كانت العباءة واحدة، صار جليا ان "الاجهزة" التي ندد مثلا الرئيس عمر كرامي بتدخلها ضده في طرابلس او تلك التي سماها النائب نجاح واكيم لتفسير انسحابه من معركة بيروت هي غير التي يشتمك منها مباشرة المواطن المتني، وهي بدورها لا تتقاطع كليا مع التي عملت على تركيب اللوائح في بعيدا - عاليه او كسروان - جبيل، مقحمة هذا المرشح تارة وشاطبة ذاك طورا. الى شيء من التفصيل إذأ: في الشمال، "التدبير" سوري، كما يفهم من التعبئة المضادة للرئيس كرامي ومن الكلام الواضح الذي لا يتردد سمير فرنجية المرشح على لائحته عن اعلانه على الملأ



في جولاته الميدانية. في البقاع، "التدبير" سوري ايضا وان لم نسمع اعتراضا. في الجبل، غلبة لبنانية في "التدبير"، ولا سيما في المقلب المسيحي منه. في بيروت، لا "تدبير" طاغيا وانما تحصين سوري لميزان القوى (والمدفوعات).

وفي الجنوب، تلازم المسارين طبعا، فتلك ارضه. ولكن، قد يقول قائل، المحصلة ذاتها مهما تعددت الأيادي: انتخابات حرة ونزيهة في نظر من يرعونها، مجلس نواب على شكل مجلس للشعب بالنسبة الى كل من يعانون التعليب، وان يكن بعضه لبناني المنشأ. صحيح. مع ذلك، يبقى للتمييز أهميته، ان على المستوى الوطني او على مستوى كل دائرة. اولا لأن التكامل بين التدبير السلطوي السوري والتدبير السلطوي اللبناني يتعثر أحيانا، فيظهر تعارض كما حصل في بيروت.

الا ان ضرورة التمييز بين مدبر وآخر لا تعني في المقابل تحميل التعارض مغزى في سياق العلاقات اللبنانية - السورية، فأى من الطرفين المتعارضين لا يشكو من خللها المبين. واذا كان من معنى سياسي لهذا التعارض، فهو في الحقل الداخلي اللبناني، أي في تظهير مشهد ما بعد الانتخابات، وتحديد دور الرئيس رفيق الحريري فيه. بيد ان ضرورة التمييز بين المدبرين والمعلبين تكتسب معناها الأهم من مساهمتها في تحديد الربح والخسارة. فاذا كان الربح معقوداً للأمر الواقع، أي لوصاية سورية مستقوية برضى الطبقة الحاكمة اللبنانية، أيا تكن احتمالات التعارض على هذا التوجه او ذلك، واذا كانت الخسارة حتمية للجسم الانتخابي اللبناني، فان الانتخابات تبقى تمثل، رغم كل شيء، فرصة للحد من هذه الخسارة. ليس بتغيير صورة المجلس المقبل كما يعلّبها المعلبون على اختلافهم، وانما باثبات قدرة المواطن اللبناني على الرفض. هنا تحديداً أهمية التمييز بين تدبير وتدبير، بين جهاز وجهاز.

فحين يكون مستحيلا توحيد المعارضات على مستوى البلد كله، وتاليا التعبير عن رفض بالجملة للأمر الواقع، يصبح الرفض بالتفصيل، أي رفض التدبير السوري هنا والسلطوي اللبناني هناك، المقياس الوحيد لقدرة المجتمع اللبناني على الحلم بمستقبل يعيد الجاسوس الى القاموس فيحرر منه النفوس.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000414	
Media	(Support)	HC
Title		الجاسوس في القاموس
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ١١
Date		٢٠٠٠/٨/١١
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	رفيق. حريري - مكسيم. رودنسون - عمر. كرامي - نجاح. واكيم - سمير. فرنجية
	Locations	لبنان - سوريا - طرابلس - بيروت - بعبدا - عاليه - كسروان - جبيل
	Dates	
	Themes	لبنان - سوريا. نظام - انتخابات. نيابية. لبنانية - أجهزة - انتخابات. ٢٠٠٠ - أجهزة. أمنية - سلطة. لبنانية - وصاية. سورية - علاقات. لبنانية. سورية - تدخل. سوري
Subject		